دراسة

نفوذ الكيان المؤقت في آذربيجان

W.A.R.C
West Asia Research Center

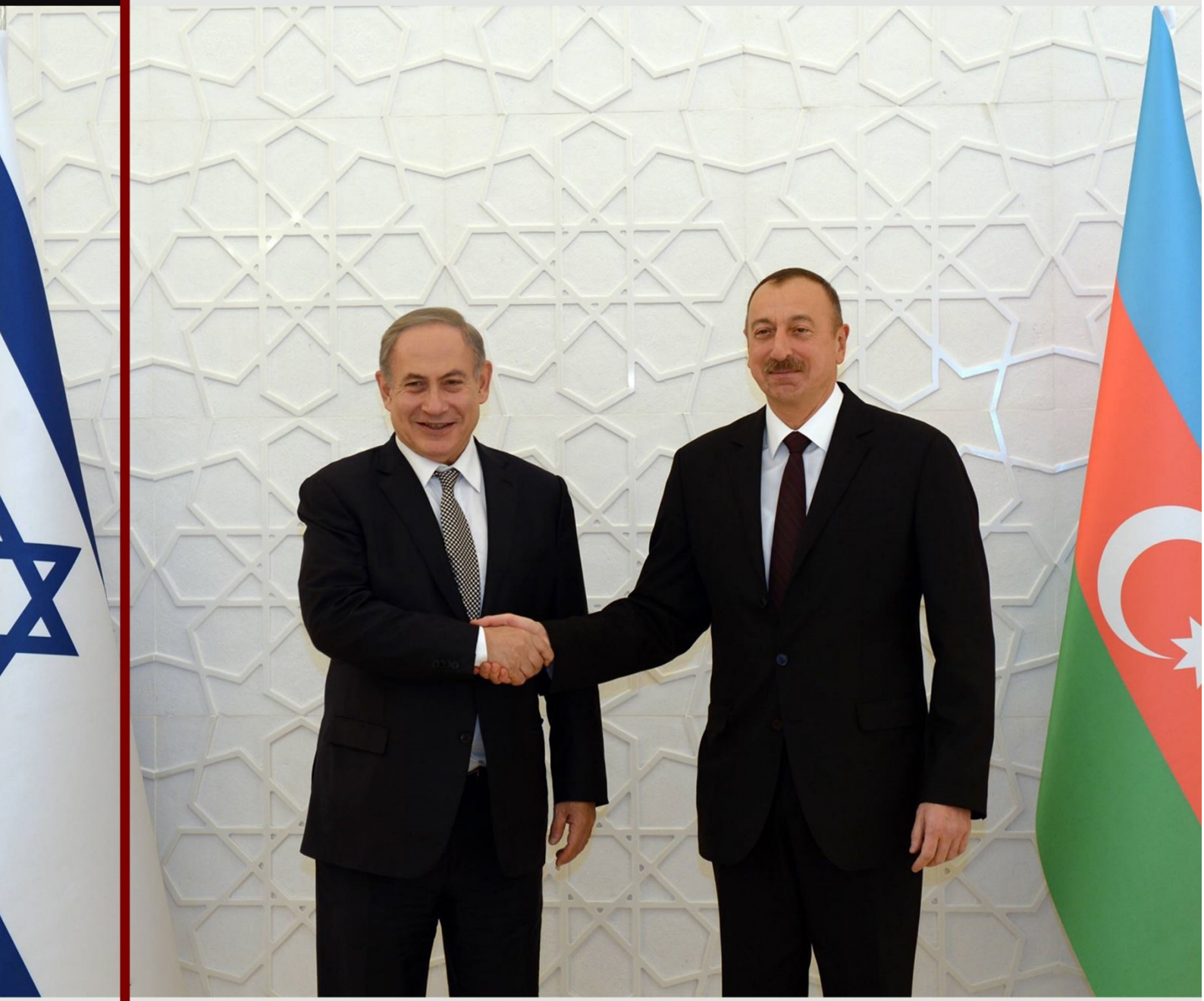

تاريخ الإصدار: 22 حزيران/ يونيو 2023

دراسة

نفوذ الكيان المؤقت في اذربيجان

2023-06-22

W.A.R.C
West Asia Research Center

مدخل 4
استراتيجية موقع آذربيجان وأهميته: 4
أهمية ممر زانغازور بالنسبة لأذربيجان 6
تعاظم أهمية أذربيجان الاستراتيجية بعد حرب أوكرانيا 7
الأهمية الاستراتيجية لأذربيجان من المنظور "الإسرائيلي": 9
العلاقات الاذربيجانية - الاسرائيلية 12
مجالات التعاون الإسرائيلية- الأذربيجانية 12
أحوال وتأثير الأقلية اليهودية في أذربيجان 15
الدور الاقتصادي والسياسي للأقلية اليهودية في أذربيجان 16
المرحلة الأولى: (1918- 1991) 16
المرحلة الثانية: (1992- وحتى الأن) 17
فلسفة العلاقات الآذرية – الصهيونية الجديدة وتأثيرها في القوقاز وآسيا الوسطى 18
التصعيد بين إيران وأذربيجان إلى أين؟ 21
دور باكو الأخير في تخريب العلاقات (الايرانية – الآذرية) 23
التصعيد الحالي 23
نقاط التوتر 24
النتائج والسيناريوهات 25
خلاصة 27

مدخل

بدأ مخطط المسار الإنحداري الذي اتخذته أذربيجان منذ العام 2019 في علاقاتها مع إيران وخلال 4 سنوات بدا وكأن باكو تفتش عن المشاكل بأي طريقة مع طهران فمن:

1- اتهام إيران بالوقوف إلى جانب ارمينيا في النزاع على الاقليم الآذري المغصوب ناغورني قره باغ.
2- اتهام إيران بتشكيل فصيل آذري "متطرف" يسعى إلى قلب نظام الحكم في باكو.
3- كشف الأجهزة الأمنية الايرانية تورط الحكومة الآذرية في عدد من عمليات الشغب والاغتيال من خلال السماح لعناصر مخربة بالتسلل إلى إيران عبر الحدود الايرانية – الآذرية الطويلة.
4- الدور الذي لعبته آذربيجان في أحداث إيران في أيلول 2022.
5- التضييق على مرور اسطول النقل الايراني عبر اقليم ناختشيفان.
6- اغتنام عملية أمنية مبهمة قام بها أحد الايرانيين في السفارة الاذربيجانية في طهران في كانون الثاني 2023 والمسارعة بإغلاق السفارة وسحب الديبلوماسيين.
7- طرد ديبلوماسيين إيرانيين لدى باكو قالت حكومتها أنه غير مرغوب فيهم.
8- وختاماً فتح سفارة لباكو لدى العدو في فلسطين المحتلة بعد 20 عاماً من الانتظار رغم وجود علاقات ديبلوماسية بين (الكيان المؤقت وآذربيجان) منذ 25-12-1992 ووجود سفارة للعدو في باكو، إلا أن آذربيجان رفضت مجرد البحث خلال 20 عاماً بمجرد فتح سفرة لها لدى كيان العدو.

كل هذه المشكلات التي طفت على السطح في السنوات الاربعة الأخيرة هي رأس جبل الجليد الآذري والغطاء التبريري الذي غطت به أذربيجان نفسها من شباط عام 2019 لتدفع مسار منسوب التوتر بشكل تصاعدي بدا أن حكومة باكو قد اختلقته عن عمد حتى تخفي تحولاً رئيسياً في توجهها الاستراتيجي يمكن وصفه بالانعطافة الحادة تنفيذاً لاستراتيجيتها التي حسمت أمرها وبدأت تنفيذها منذ أواخر العام 2021. وحتى يمكننا قراءة بعض تفاصيل هذا التحول لابد لنا من تحليل ما استجد في عقل صانع القرار الآذري، لنحدد إلى أي مدى سيأخذ هذا التحول الدولة السابقة في الاتحاد السوفياتي والتي تتميز بوفرة الموارد النفطية والغازية، والتي تتمتع بعقدة طرق قارية استراتيجية غاية في الأهمية يمكنها استثمارها سياسياً واقتصادياً على المستوى الاقليمي بالاستفادة من انتماء اذربيجان لمجموعة الدول الناطقة باللغة التركية والتي تنتشر في القفقاس وعلى امتداد معظم آسيا الوسطى.

استراتيجية موقع آذربيجان وأهميته:

تمتاز أذربيجان بأهمية جيواستراتيجية بالغة التأثير ليس فقط في منطقة جنوب القوقاز وإنما تزداد أهميتها للعالم أجمع، فهي تقع على تقاطع الطرق التي تربط الغرب والشرق وقارتَي آسيا وأوروبا، وهو ما يُكسبها اهتمامًا دوليًا وإقليميًا، ودورًا تاريخيًا وسياسيًا متعاظمًا، إذ تقع أذربيجان عند تقاطع مصالح لعدد من البلدان، كما تُعَد حلقة وصل مهمة في منطقة بحر قزوين بين جنوب القوقاز وآسيا الوسطى وأوروبا وكذلك منطقة غرب آسيا.

تتميز الطبيعة الجغرافية لأذربيجان بالجمع ما بين الأراضي المنبسطة الصالحة للزراعة والمرتفعات، وتقدَّر المساحة الصالحة للزراعة بنحو 4.32 مليون هكتار، أي 50% من مساحة البلاد، وهو الأمر الذي يجعل من أذربيجان دولة منتجة بامتياز.

كما تبرز أهمية أذربيجان بالتنوع البيئي الذي تتميز به، حيث يوجد بها تنوع نباتي وحيواني لا مثيل له، فقد تم تسجيل أكثر من 4500 نوع من النباتات العليا، أوجدها المناخ الفريد من نوعه والذي لا يوجد في بقية جمهوريات جنوب القوقاز. أما الثراء والتنوع في الحياة الحيوانية فكشفته مذكرات الرحالة الشرقيين، وزيارات علماء الطبيعيات منذ القرن السابع عشر عن 106 أنواع من الثدييات و97 نوعًا من الأسماك و363 من الطيور و10 أنواع من البرمائيات و52 من الزواحف.

كما تتميز أذربيجان بمخزونها من النفط والغاز، حيث أن ثلثَي الجمهورية غني بالنفط والغاز، ويتركز أكبر قدر من الاحتياطي في شبه جزيرة أبشيرون والجرف القوقازي وأرخبيل باكو وأبشيرون. ويُذكر أن إنتاج النفط في أذربيجان وتحديدًا من منطقة باكو يرجع إلى نهايات القرن التاسع عشر، وللتنويه فإنه منذ مطلع القرن العشرين أصبح نصف إنتاج النفط عالميًا يأتي من أذربيجان، إذ كانت أذربيجان تنتج ما يعادل (70%) من مجموع إنتاج النفط الخام في الاتحاد السوفيتي عام 1941.

كما تملك أذربيجان أنواعًا عديدة من المعادن، بعضها معادن فلزية، وهي: الحديد والمنجنيز والتيتانيوم والكروم والنحاس والكوبالت والخامات المركبة والأنتيمون والذهب والفضة، والموليبدينوم، إلخ، ويوجد أكبر مخزون للحديد في داشكيسان، وبعضها معادن لافلزية، منها: الحجر الجيري وأحجار ترافيتين في كوبوستان وأبشيرون وتوفوز وشاهتاختي (ناخشيفيان أذربيجان) ورخام داشكيسان وجبس أغجاكند وحجر الشبَّة الذي له أهمية صناعية كبرى في هادجيفيلي.

تتوسط أذربيجان طرق المواصلات البرية وطرق القطارات، وتمتد خلالها خطوط انتقال الطاقة والكهرباء وأنابيب النفط والغاز، منذ فترة الاتحاد السوفيتي وإلى اليوم. وكما أن القوقاز كان على الدوام مسيرًا يربط الشرق بالغرب، شكَّل في الوقت ذاته دورًا محوريًّا في إكمال طريق الحرير، وبعد استقلال أذربيجان ودول آسيا الوسطى، كان القوقاز طريقًا للترانزيت بين الشرق والغرب، وأُضيف لذلك أهميته في مسار الترانزيت بين الشمال والجنوب.

بعد حرب ناغورني قره باغ الثانية، التي دارت في خريف العام الماضي 2020 بين اذربيجان وارمينيا والتي استمرت 44 يومًا، أعيد تشكيل المعادلة الجيوسياسية في منطقة جنوب القوقاز. بعد انتصار اذربيجان في الحرب التي فتحت مجالات جديدة للتعاون الإقليمي من خلال نقاط تواصل جديدة بين دول المنطقة عبر الممرات التي ستفتح واهمها ممر زنغازور الذي يربط المناطق الغربية من أذربيجان بجمهورية ناختشيفان الاذربيجانية ذات الحكم الذاتي الممر المذكور أعلاه، المعروف عمومًا باسم "ممر القوقاز زانغازور"، يربط منطقة القوقاز بالأناضول التركية.

كما يمتلك هذا الممر ميزات اجتماعية واقتصادية وجيوسياسية وجيو-استراتيجية حيث أنه يربط آسيا الوسطى ومنطقة بحر قزوين وأذربيجان وأرمينيا بتركيا، لذلك سيؤدي فتح الممر إلى توسيع شبكة السكك

الحديدية بين روسيا وأذربيجان وتركيا وأرمينيا وسينعكس إيجابًا على التجارة الإقليمية بين دول المنطقة وفي إقامة تعاون اقتصادي في جنوب القوقاز في المستقبل.

إذا تم فتح هذا الممر كما هو مخطط وحسب الاتفاقيات الاخيرة الموقعة بين الدول ذات الصلة، فسيؤدي إلى إنشاء منطقة برية غير ساحلية لأذربيجان بين أرمينيا وإيران مع توفير اتصال حدودي بري ضيق مع تركيا، كما ستفتح العديد من طرق التجارة من آسيا والمحيط الهادئ إلى تركيا.

تعتبر قضية ممر زانغازور الان من أكثر القضايا الساخنة التي تدور حولها في أذربيجان وكذلك في أرمينيا، حيث ان جمهورية أرمينيا قلقة جدًا من هذا الأمر بسبب احتلالها منذ أكثر من مئة عام.

يخشى الجانب الأرمني من أنه بعد فتح ممر زانغازور الذي سيربط بين تركيا وأذربيجان، ستقدم أذربيجان مطالبات إقليمية ودولية بإعادة بقية اراضيها التاريخية المحتلة من قبل أرمينيا ويمكن أن تبدأ حربًا جديدة بذريعة استعادة منطقة زانغازور في المراحل المتقدمة بعد ان تزيد قوتها الاقليمية وبمساعدة "إسرائيل" وتركيا.

حيث قال الرئيس الأذربيجاني إلهام علييف في خطاب سابق له إن "الشعب الأذربيجاني سيعود إلى زانغازور ارض اجداده القدامى التي انتزعت منا قبل 101 عام.

حيث أن الرئيس الأذربيجاني إلهام علييف المزهو باستعادة "نغورني قره باغ" بدعم صهيوني وتركي، هدد خلال خطابات النصر إنه سيتم اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لضمان المصالح الوطنية الاذربيجانية وأن فتح ممر زانغازور سيخدم المصالح الوطنية لأذربيجان على كافة الأصعدة، وان الممر سيفتح سواء أرادت أرمينيا ذلك أم لا، وقال الرئيس الهام علييف "انني كما قلت قبل وأثناء الحرب، إما أن تنسحب ارمينيا طواعية من كافة أراضينا أو سنجبرها على ذلك بقوة جيشنا الباسل المصمم على تحرير كل شبر من تراب الوطن، طبعًا إذا أراد الجانب الارمني التعاون في فتح الممر، يمكننا حلها بسهولة أكبر بالتعاون بيننا، وإذا لم يفعلوا ولم يتعاونوا، فنحن سنحلها بالقوة، قلتها قبل وأثناء حرب قره باغ الثانية، إما أن تنسحبوا طواعية من أرضنا أو سنجبركم على ذلك بقوتنا وعزيمتنا، ومصير ممر زانغازور سيكون كذلك. الان مع مرور الوقت من دون تنفيذ بند فتح الممر ليس من صالح أي أحد، لذلك يجب تنفيذ كل البنود حسب الاتفاقية الموقعة بيننا".

"لقد تم حشد جميع القوى والفعاليات لتنفيذ مشروع فتح الممر حيث ان بناء السكك الحديدية والطرق السريعة يستغرق وقتا، في النهاية سيعود الشعب الاذربيجاني الى زانغازور التي سلبت منه قبل 101 سنة"، وأنهى إلهام علييف خطابه بعبارة ملفتة "إن الوقت هو منافسنا الرئيسي الان".

أهمية ممر زانغازور بالنسبة لأذربيجان

إن بدء تنفيذ مشروع فتح ممر زانغازور سيكون له آثار ايجابية على الاقتصاد الأذربيجاني والمنطقة بشكل عام، وأيضا على اقتصادات البلدان الناطقة بالتركية في اسيا الوسطى، مما سيزيد من أهمية ممرات النقل

بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، بحيث أن موقع أذربيجان على "طريق الحرير التاريخي" يؤهلها لأن تكون مركزًا لوجستيًا بين أوروبا وآسيا.

فتح ممر زانغازور، لن يقتصر على توحيد اقتصاديات البلدان الناطقة بالتركية في اسيا الوسطى مع انتاج محلي إجمالي يزيد عن 1.1 تريليون دولار، بل سيزيد أيضًا من الأهمية الاستراتيجية لأذربيجان. حيث سيربط هذا الممر المنطقة بإمكانيات اقتصادية وبشرية وموارد طبيعية كُبرى.

وسيجعل ذلك من أذربيجان عاصمة لمراكز النقل في منطقة القوقاز، وهي خطوة مهمة نحو هدف أذربيجان المتمثل في أن تصبح مركزًا للنقل في أوراسيا؛ وهكذا، قد يغير ممر زانغازور مصير دول جنوب القوقاز في الأشهر المقبلة.

يمثل الممر المعني أهمية حيوية ليس فقط بالنسبة للتجارة بين تركيا وآسيا الوسطى، ولكن أيضًا بالنسبة لحجم التجارة بين تركيا والصين، والذي بلغ 21 مليار يورو في عام 2019. علاوة على ذلك، إن تنفيذ فتح ممر زنغازور للنقل له أهمية استراتيجية لروسيا والصين ويربط بين أوروبا وآسيا، سيوفر فوائد اقتصادية لجميع دول المنطقة، لأن الممر سيعزز القدرة على إنشاء رابط اقتصادي كبير لجميع البلدان في المنطقة.

الأهم من كل ذلك كما تقول وكالة الأنباء الآذرية: "أن العالم التركي سوف يلتقي ويجتمع مرة أخرى عبر ممر زانغازور بعد سنوات عديدة كان التواصل البري فيها مقطوع بسبب اغلاق هذا الممر المهم".

تشارك أذربيجان الان عن كثب في فعاليات ومشاريع تشكيل ممرات النقل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وتقدم الدعم المالي المباشر لتطوير الجزء الإقليمي من ممرات النقل الدولية الهامة هذه.

سيتيح ذلك لمنطقة ناختشفان الاذربيجانية ذات الحكم الذاتي الوصول من خلال فتح ممرات النقل هذه الى الوطن الام أذربيجان.

وسيكون من المهم ايضًا وبشكل خاص لرجال الأعمال من ناختشيفان بالتحرك السريع والوصول إلى ممر النقل بين الشرق والغرب لتصدير كافة المنتجات الصناعية والزراعية.

تعاظم أهمية أذربيجان الاستراتيجية بعد حرب أوكرانيا

تعيش آذربيجان هذه الأيام بعد إنهائها تحرير إقليم "ناغورني قره باغ" بمساعدة صهيونية وتركية، أحد أفضل حقبها في المجالات الاقتصادية والدبلوماسية والتجارية، ولا يفوّت الرئيس الأذربيجاني إلهام علييف هذه الفرصة التي جاءته على طبق من ذهب لتعزيز موقع بلاده، لتكون معبرًا مهمًا للتجارة العالمية ومصدرًا حيويًا للطاقة نحو أوروبا، ولكسب مزيد من الدعم السياسي الدولي لإغلاق ملف إقليم "ناغورني قره باغ."

ويظهر المحور التركي الأذربيجاني في القلب من كل المعادلات التي فرضتها الحرب الروسية في أوكرانيا، وقد دفع ذلك الأوروبيين إلى تأسيس ما يسمى المجموعة السياسية الأوروبية، وهي مجموعة تعوّل عليها أوروبا

لجذب دول جوار روسيا نحو أوروبا وإبعادها عن موسكو أو على الأقل تحييدها في الصراع الغربي الروسي، ومن أهم الدول غير الأعضاء في الاتحاد الأوروبي والموجودة في هذه المجموعة: تركيا وأذربيجان.

أسهمت الحرب في أوكرانيا في زيادة الطلب على الغاز من أذربيجان، ففي الأشهر الأولى من عام 2022 ارتفعت صادرات الغار إلى نحو 4 أضعاف مقارنة مع عام 2021، لتصل إلى 4.18 مليارات دولار، كما ارتفعت صادرات النفط بنحو 50% مقارنة بالعام الذي سبقه، وهو ما أدى إلى التخلص من العجز في الميزان التجاري بل تحقيق فائض في الميزانية بنحو 1.57 مليار دولار في الربع الأول من 2022.

وأعلنت شركة "سوكار (SOCAR) "المكلفة بتوزيع الغاز في أذربيجان أنها سترفع صادراتها من الغاز إلى أوروبا بنسبة 30%، وأنها في الربع الأول من هذه السنة صدّرت 2.6 مليار متر مكعب من الغاز، وتسابق أذربيجان الزمن من أجل تعويض جزء من صادرات الغاز نحو أوروبا.

فحسب مركز الأبحاث حول الطاقة والهواء النظيف "مقره في فنلندا – CREA"، حققت روسيا منذ إطلاقها الحرب ضد أوكرانيا مداخيل تفوق 25 مليار دولار من تصديرها للغاز نحو أوروبا، وهو ما يعادل 10 أضعاف مداخيل أذربيجان من صادرات الغاز.

لكن دراسة لمجموعة باحثين في كلية لندن للاقتصاد (LSE) أظهرت أنه من الصعب على أذربيجان وحدها تغطية النقص الذي سيحدثه توقف أوروبا عن استيراد الغاز من روسيا، فموسكو صدّرت نحو 155 مليار متر مكعب من الغاز نحو أوروبا، أما أقصى ما يمكن أن تصدره باكو في السنوات الخمس المقبلة فهو 20 مليار متر مكعب إلى أوروبا، بعد الانتهاء من الشطر الثاني من الممر الجنوبي للغاز والذي ينطلق من أذربيجان ويصل أوروبا بخطوط أنابيب طولها 3500 كيلومتر وبميزانية إجمالية للمشروع تفوق 45 مليار دولار.

ولتسريع تطوير البنية التحتية الخاصة بتصدير الغاز من أذربيجان، وافق الاتحاد الأوروبي على منح تمويل بقيمة 2.1 مليار دولار بغرض زيادة العقود التي تربط أوروبا بأذربيجان في مجال الغاز.

أسهم بحث أوروبا عن بديل للطرق التجارية القادمة من الصين والتي تعبر من روسيا في عودة الاهتمام بما يعرف بالممر الأوسط للتجارة، الذي يربط الصين بأوروبا، حيث يمر عبر أذربيجان وجورجيا وأوزبكستان ثم تركيا وصولًا إلى أوروبا، وتعدّ أذربيجان العمود الفقري لهذا الممر.

ويعلم الاتحاد الأوروبي أن نجاح هذا الخط في الربط بين الصين ودول القارة العجوز مرهون بتقوية البنية التحتية في أذربيجان، وهو ما دفع المفوضية الأوروبية إلى الإعلان عن تمويل بقيمة 2.2 مليار دولار من أجل دعم 25 ألف شركة صغرى تعمل في مجال التجارة والتصدير والاستيراد، إضافة إلى دعم تطوير ميناء باكو.

وتقوم أذربيجان حاليا بتوسيع منطقة التجارة الحرة في بلدة تقع على بُعد 70 كيلومترا جنوب العاصمة، كما تم بالفعل الانتهاء من تجديد وتوسيع ميناء باكو على مرحلتين: الأولى انطلقت عام 2012 والثانية عام 2020، ويقع في الطرف الغربي من بحر قزوين الذي سيكون نقطة الوصل بين كل الشحنات التي تصل من

الصين إلى تركمانستان، وقد تم تصميم الميناء لنقل الحاويات والسلع من الشرق إلى الغرب، وذلك سيؤهل ميناء باكو ليصبح نقطة حيوية للتجارة العالمية.

نجحت أذربيجان في أن يصبح لها صوت مسموع داخل الاتحاد الأوروبي، وهكذا فقد صمّ الاتحاد آذانه عن مطالب جورجيا وأرمينيا ودول أخرى بوقف التمويل عن المشاريع الطاقية في أذربيجان، بل أصبحت أذربيجان محاورًا رئيسًا للأوروبيين في مجالي الطاقة والتجارة، وهو ما يفسر ارتفاع وتيرة اللقاءات بين الطرفين منذ اندلاع الحرب في أوكرانيا.

كما نجحت أذربيجان في تكريس تحالفها مع تركيا، الذي وصفه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بأنه "تحالف إستراتيجي" وكان قد انطلق منذ معركة "ناغورني قره باغ" وعززته تبعات الحرب في أوكرانيا. وفي محيطها وقّعت أذربيجان عددًا من الاتفاقيات الإستراتيجية بدءًا بروسيا، إذ اتفق البلدان على التنسيق في موضوع الطاقة، والأهم لأذربيجان هو تعهد موسكو بعدم المساس بوحدة أراضي أذربيجان، وذلك يعني تحييد روسيا من الصراع الحدودي مع جورجيا.

الأهمية الاستراتيجية لأذربيجان من المنظور "الإسرائيلي":

1. يتزايد بشكل واضح خصوصاً بعد اتفاق الطرفين سنة 2021 على تشكيل مكاتب رسمية ذات صفة ديبلوماسية للتعاون في هذا المجال، ويصنف كِلا البلدين إيران كتهديد أمني وجودي لهما. كما تعتبر صناعة الدفاع الإسرائيلية ذات المستوى العالمي من زاوية تعاملها المريح مع عملائها حالة مثالية للاستجابة لاحتياجات الدفاع الجوهرية لأذربيجان، التي لا تتم تلبيتها إلى حدّ كبير من قبل الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا لأسباب مختلفة لها علاقة بموضوع أرمينيا وناغورني قره باغ.
2. آذربيجان دولة إسلامية ينتمي أغلب سكانها للمذهب الشيعي الذي يشكل أتباعه التهديد الأبرز للأمن الإسرائيلي، عند النظر في خريطة العالم الإسلامي سنجد أن الدول الإسلامية غير العربية الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي ولا تعترف بـ "إسرائيل" هي 10 دول، وهي دول في أغلبها سنية، لكن الدول الإسلامية التي تعترف بـ "إسرائيل" وذات أغلبية شيعية هي أذربيجان فقط، وهو ما تراه "إسرائيل" خرقاً للموقف الشيعي من "إسرائيل"، خصوصاً أن الاتجاه السائد بين الشيعة في أغلب الدول التي فيها أغلبية شيعية هو الاعتراض على الاعتراف بـ "إسرائيل" (إيران، والبحرين، والعراق)، وهناك دول فيها أقليات شيعية وازنة سكانياً مثل باكستان (أكثر من 33 مليون شيعي)، والهند (11 مليون)، وأفغانستان (6 مليون)، لكن استطلاعات الرأي في هذه الدول تشير إلى أغلبيةٍ شيعيةٍ رافضةٍ للاعتراف بـ "إسرائيل"، ومن هنا تسعى "إسرائيل" عبر أذربيجان إلى تقديم نموذج تعاوني مع المجتمع الشيعي ليكون نموذجاً جاذباً للشيعة الآخرين، وخصوصاً أن نسبة الشيعة في أذربيجان تصل إلى نحو 85% (تشير مصادر أخرى إلى نسبة 65-70%)، ومن هنا تبدو أهمية العلاقة مع أذربيجان، فهي خرق للبيئة الإسلامية بشكل عام وخرق للبيئة الشيعية بشكل خاص، ناهيك عن أن نسبة الشيعة في جورجيا (التي لها حدود مع أذربيجان تصل إلى 428 كم) تصل إلى نحو 20%، وهي معطيات تسعى الكتابات الإسرائيلية للترويج لها.

من جانب آخر، فإن "إسرائيل" تحاول تعميق ارتباطاتها مع أذربيجان توظيف علاقاتها المتنامية وبشكل متسارع مع تركيا من خلال:

أ- تعميق العلاقة مع أذربيجان عبر تركيا، نظراً للأصول العرقية والثقافية التركية لنسبة مهمة من الأذريين.

ب- إن تحسين العلاقات الإسرائيلية مع كلّ من تركيا وأذربيجان يسهل لـ "إسرائيل" الوصول إلى بحر قزوين، وتيسير نقل النفط والغاز الأذري لـ "إسرائيل" عبر تركيا.

ج- إن الصراع الأذري الأرمني على بعض المناطق والحدود وفَّر فرصة لـ "إسرائيل" وتركيا معاً لمزيد من التنسيق لزيادة دعمهما لأذربيجان، وهو ما أسهم في تحقيق انتصارات أذرية على أرمينيا خلال المعارك التي دارت بينهما في أيلول 2020، وقد أسهمت "إسرائيل" في تزويد أذربيجان بنحو 60% من ذخائر المدفعية إلى جانب الطائرات المسيَّرة جنباً إلى جنب مع المساعدات التركية لأذربيجان.

د- إن تطور العلاقة الإسرائيلية الأذرية التركية ييسر على "إسرائيل" التواصل مع الأقلية اليهودية في أذربيجان، والتي يعيش أغلبها في العاصمة باكو وما حولها.

3. آذربيجان دولة تمتلك مصادر وموارد طاقة مهمة، حيث تشير المصادر المختلفة إلى أن أذربيجان كانت حتى بداية الحرب الأوكرانية الروسية في شباط/ فبراير 2022 توفِّر 40% من احتياجات (النفط والغاز) لـ "إسرائيل"، خصوصاً عبر خط أنابيب باكو (أذربيجان) – تيبليسي (جورجيا) – جيهان (تركيا)، ومع تزايد سياسات الحصار على روسيا خصوصاً في مجال تزويد الغرب باحتياجاته من الطاقة، فإن أهمية أذربيجان تزايدت لتعويض ما قد يمس الموارد النفطية الروسية من تضييق عليها في الأسواق، وذكر السفير الإسرائيلي في العاصمة الأذرية في شباط 2022 بعد اسبوع من بدء العملية الخاصة الروسية في أوكرانية جورج ديك George Deek، إن "إسرائيل" تأمل أن تكون: شركاتها جزءاً من مشاريع الطاقة المتجددة في أذربيجان، حيث إن "إسرائيل" رائدة عالمياً في تكنولوجيا الطاقة الخضراء، خصوصاً أن 10-15 شركة إسرائيلية تقدمت من خلال السفارة للمشاركة في مشاريع في قره باغ، كما أن عدداً أكبر من الشركات الإسرائيلية تقدمت بطلبات مباشرة، وليس من خلال السفارة، ومنها عشرات الشركات التي تقدمت بطلبات لمشاريع مختلفة تتراوح من بناء المدن الذكية إلى الطاقة الخضراء والزراعة وبناء المستشفيات ومراكز العلاج بالمنتجعات الصحية. وبلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين حتى سنة 2021 نحو 200 مليون دولار. يضاف لها تجارة الطاقة بقيمة 928.4 مليون دولار تقريباً".

4. تنتمي آذربيجان لإقليم القفقاس، وتطل على بحر قزوين، وتحاذيها كلّ من روسيا وأرمينيا وجورجيا وتركيا (من خلال معبر ناختشيفان)، إضافة لإيران، كما تعتبر أذربيجان دولة المركز في إقليم القفقاس والمؤثر الرئيسي فيه، إن مراجعة الأدبيات الاستراتيجية الغربية خلال العقود القليلة الماضية، وخصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، تشير إلى عدد من الخطط الاستراتيجية ذات الصلة بإقليم القفقاس الذي يضم أذربيجان وأرمينيا وجورجيا وبعض من جنوب روسيا، ويصل بين البحر الأسود وبحر قزوين، فمشروع تمدد حلف الناتو NATO (جنوباً وشرقاً) هو مشروع طرحه مندوب الولايات المتحدة في مجلس الناتو نيكولاس بيرنز رئيس الـ CIA الحالي في براغ سنة

2003، محدداً التمدد جنوباً وشرقاً، وارتبط المشروع باستراتيجية بناء الشرق الأوسط الكبير الذي تمّ طرحه للمرة الأولى سنة 1995 من خلال مجلة الجيش الأمريكي Joint Force Quarterly، ليضم الشرق الأوسط كما عرَّفه شمعون بيريز Shimon Peres في كتابه سنة 1993، مضافاً له التمدد نحو آسيا الوسطى بما فيها إقليم القفقاس الفرعي. تمّ نقل "إسرائيل" من تبعيتها للقيادة الأوروبية في القوات الأمريكية إلى القيادة المركزية لهذه القوات، والتي يغطي عملها آسيا الوسطى والقفقاس مع التركيز على أذربيجان (التي لا تضمها منطقة عمليات السنتكوم) ولكنها تضم جميع جاراتها القفقازية وفي آسيا الوسطى التي تتبع للقياد الامريكية الوسطى، وهو ما يعني نقل "إسرائيل" من دائرة أوروبا إلى دائرة تتشارك فيها مع دول شرق أوسطية وقفقاسية على رأسها أذربيجان، فإذا أضفنا لذلك تركيا العضو الرسمي في الناتو اتضحت أهمية أذربيجان الاستراتيجية لكل من الناتو و"إسرائيل" والولايات المتحدة، خصوصاً بعد أن أسهمت أذربيجان سنة 1994 في اتفاقيات الشراكة من أجل السلام مع الناتو.

وتشير "الأدبيات الإسرائيلية" في هذا الصدد إلى أن هذه الاستراتيجية تستهدف:

أ- تطويق إيران ومراقبتها ومواصلة الضغط عليها بالتعاون مع الدول الغربية.

ب- تشكيل قاعدة تعاون تقوم على موارد الطاقة الأذرية والتكنولوجيا الإسرائيلية والإمكانيات التركية.

ج- الإسهام في إطار الاستراتيجية الغربية في عرقلة التعاون الروسي الصيني الإيراني في هذه المنطقة، وخصوصاً مع تنامي العلاقات الإسرائيلية مع بقية آسيا الوسطى خصوصاً كازخستان وتركمانستان وأوزبكستان.

د- محاولة "إسرائيل" للتمدد عبر العلاقة مع تركيا وأذربيجان إلى دول آسيا الوسطى، وخصوصاً الدول المنتمية للمنظمة الدولية للثقافة التركية (تأسست سنة 1993)، للتضييق على السعي الإيراني للتمدد في هذه المنطقة، وخصوصاً أن إيران أنشأت سنة 1992 منظمة اللغة الفارسية، وضمَّت إلى جانب إيران طاجيكستان وأفغانستان، ناهيك عن علاقة إيران مع دول آسيا الوسطى من خلال منظمة التعاون الاقتصادي.

هـ- العمل على منع حدوث احتمالين اثنين هما عودة بعض دول آسيا الوسطى والقفقاس للدائرة الروسية، أو قيام دول ذات نظم إسلامية معادية "لإسرائيل" والغرب في القفقاس، أو آسيا الوسطى بشكل عام.

و- استغلال الحاجة الأذرية للمساندة الأمريكية بشكل خاص والغربية بشكل عام، خصوصاً مع إحساس أذربيجان أن الغرب المسيحي أكثر تعاطفاً مع أرمينيا في الصراع الإقليمي بينهما، وذلك بتوظيف جماعات الضغط اليهودية في الغرب لمساندة أذربيجان، وهو ما يمكن "لإسرائيل" أن تستثمره لانتزاع المزيد من النفوذ في أذربيجان.

ز- لعل بعضاً من الاستدارة الخليجية نحو الشرق تزيد من القيمة الاستراتيجية لأذربيجان بالنسبة "لإسرائيل"، ففي "حالة تراخي التطبيع" الخليجي مع "إسرائيل"، واحتمال أن لا تسمح دول الخليج العربية بعد التقارب الإيراني الخليجي بتسهيل النشاطات الإسرائيلية

ضدّ إيران من أراضيها خصوصاً إذا وقعت مواجهة إيرانية إسرائيلية، فإن مثل هذه التطورات تزيد من القيمة الاستراتيجية لأذربيجان بحكم جوارها لإيران.

ح- خلق مسار موازٍ لخط الحرير الجديد الذي تزمع الصين اعتماده غبر (أفغانستان – باكستان – إيران – السعودية – الاردن- سوريا – "لبنان أو تركيا") وفرض الخط المعتمد الذي يمر عبر الصين –أفغانستان – قرغيزستان – كازخستان – تركمانستان – بحر قزوين – آذربيجان – تركيا) وبالتالي إبعاد إيران وروسيا والسعودية عن الخط المفترض أن يتحكم باستثمارات وصادرات تفوق تريليون دولار.

العلاقات الاذربيجانية - الاسرائيلية

كانت أذربيجان من بين الدول الأولى التي انسلخت عن الاتحاد السوفييتي في الإعلان عن علاقات ديبلوماسية مع "إسرائيل" في 1992/4/7، أي بعد نحو مئة يوم فقط من الإعلان الرسمي عن انتهاء الاتحاد السوفييتي كدولة، وفي نهاية العام (كانون أول 1992) افتتحت "إسرائيل" سفارتها في باكو (عاصمة أذربيجان)، على الرغم من أن الجانب الأذري أبقى الأمر في بداياته على مستوى علاقات ديبلوماسية عبر الحوارات المؤسسية بين الطرفين، وتأخَّر فتح السفارة الآذرية في تل أبيب إلى تشرين الثاني 2022.

وقد عللت أذربيجان تأخير فتح سفارتها في تل أبيب إلى سببين، هما الرغبة في عدم استفزاز إيران، والحرص على عدم التأثير على عضويتها في منظمة المؤتمر الإسلامي.

شمل التعاون بين الطرفين الإسرائيلي الآذري الجوانب العسكرية خصوصاً بعد سنة 2010 من بيع للأسلحة، وتحديث الأسلحة الآذرية القديمة، وتبادل المعلومات الأمنية، ومقاومة ما يسمى تنظيمات الإرهاب، والتعاون في مجالات ضبط الحدود الآذرية، وتطوير المطارات، والتدريب للقوات الأمنية والعسكرية...إلخ، بل إن أذربيجان عملت على الاتفاق مع "إسرائيل" على شراء القبة الحديدية لمقاومة الصواريخ رداً على شراء أرمينيا لصواريخ اسكندر الروسية منذ سنة 2016، ناهيك عن أن هناك تقارير عديدة تتحدث عن استخدام "إسرائيل" للقواعد الجوية الآذرية.

خلال الفترة من 2011-2016 كانت نسبة مشتريات السلاح الأذري من "إسرائيل" تعادل 27%، لكن خلال الفترة من 2016-2020، قفزت النسبة إلى ما يساوي 69% من إجمالي صفقات السلاح الآذرية، وهو ما يعادل 17% من إجمالي مبيعات السلاح الإسرائيلي، مما يجعل من أذربيجان الزبون الثاني للصناعة العسكرية الإسرائيلية بعد الهند.

مجالات التعاون الإسرائيلية- الأذربيجانية

تشمل العلاقات الاستراتيجية بين الدولتين، التعاون في مجالات التجارة والأمن، بالإضافة إلى التبادلات التعليمية والثقافية، وهو ما أعطته الفعالية الزيارات المستمرة من المسئولين الإسرائيليون مع نظرائهم من أذربيجان، حيث تم في إطارها التوقيع على عدة اتفاقيات في مجالات التعاون المختلفة، على نحو ما توضحه النقاط التالية:

التنسيق السياسي بين الجانبين، فتبادل التمثيل الدبلوماسي بين الدول بصفة عامة يعتبر أحد المؤشرات المهمة لقياس مدى تطور العلاقات بينهما، فضلًا عن أنه يعكس تطور وتشابك المصالح السياسية والاقتصادية بينهما، كما أنه يعبّر عن رغبة الدول في تطوير تلك المصالح، وإقامة نمط للعلاقات التعاونية. وقد بدأت العلاقات الدبلوماسية بين "إسرائيل" وأذربيجان في أبريل 1992 وبمستوى تمثيل دبلوماسي قوي في شكل بعثة دائمة يرأسها سفير لدى الجانبين.

التعاون الاقتصادي والدعم الفني، أبرمت إسرائيل وأذربيجان العديد من الاتفاقيات الثنائية في مجالات: تشجيع وحماية الاستثمارات المتبادلة، وتخفيض التعريفات والرسوم الجمركية على التجارة البينية، وتعزيز التعاون في الخدمات الصحية والعلمية والتكنولوجية، وتنشيط حركة السياحة والنقل والاتصالات والتدريب الفني فيما بينهما. وتشير التقديرات إلى أن "إسرائيل" قد وسعت من معدل شراكاتها التجارية خلال الفترة ما بين 2000 و2005 مع أذربيجان، من العشر إلى الخمسين، وطبقاً للإحصاءات الصادرة عن الأمم المتحدة، فإنه ما بين عامي 1997 و2004، زادت الصادرات من أذربيجان لإسرائيل من حوالي أكثر من 2 مليون دولار لتصل إلى 323 مليون دولار، كما أن حوالي 1/6 المعروض النفطي لإسرائيل يأتي من أذربيجاًن.

وتأتي إسرائيل ضمن أكبر خمس شركاء تجاريين لأذربيجان في السنوات الأخيرة، كما تعد "باكو" أكبر مورد للنفط لإسرائيل، حيث تزودهاً بحوالي 40% من استهلاكها السنوي، بينماً تعتبر إسرائيل سادس أكبر مستورد لصادرات النفط الأذربيجاني، ويصل النفط الأذري عن طريق خط أنابيب يمر عبر تركيا، وأستمر في العمل حتى في ظل تدهور العلاقات الإسرائيلية التركية في السنوات الأخيرة، وبالإضافة إلى ذلك تشارك إحدى المؤسسات التابعة لشركة النفط الحكومية لأذربيجان "سوكار" في أعمال التنقيب عن النفط والغاز قبالة "سواحل إسرائيل"، وهذا المشروع هو الأول من نوعه لشركة سوكار خارج منطقة بحرين قزوين، والذي من شأنه أن يسهم في تحقيق أهداف المؤسسة بأن تصبح إحدى شركات النفط الدولية.

ويتضح مما سبق أن "إسرائيل" قد وجدت في أذربيجان مصدرا هاما للطاقة، نظرًا لقربها النسبي جغرافياً، يعوضها عن استحالة حصولها على النفط من منتجاته الكبرى في الخليج ، مما جعلها المزود الأكبر والأهم لإسرائيل في مجال النفط، عبر أنبوب النفط الذي يبدأ في العاصمة "باكو" ويمر عر جورجيا ثم مدينة جيهان التركية وصولًا إلى شواطئ البحر المتوسط، كما تنظم "إسرائيل" مؤتمرات سنوية خاصة في مجالات المياه والاقتصاد، ودعوتها لحضور دول الكومنولث لها ومن بينها أذربيجان، للتباحث في مجالات التعاون الاقتصادي والفني المشترك .

التعاون الثقافي والتبادل التربوي بين الجانبين الأذربيجاني "والإسرائيلي"، فيلاحظ أن حجم هذا التبادل يزداد بفضل عقد المهرجانات الثقافية المشتركة، وإلغاء نظام التأشيرة بين البلدين، وبوجود طائفة يهودية في باكو ساهمت بشكل كبير في تعزيز العلاقات الثقافية بين الجانبين.

التعاون العسكري، فقد دخلت العلاقات بين البلدين مرحلة جديدة في أغسطس 1997 أثناء زيارة رئيس وزراء "إسرائيل" بنيامين نتنياهو إلى باكو، ومنذ ذلك الوقت، "وإسرائيل" تحرص على تنمية وتطوير علاقاتها الوثيقة بأذربيجان خاصة في مجال تحديث وتطوير القوة العسكرية لأذربيجان. كما أنه في عام 2009، قام "الرئيس الإسرائيلي" الراحل شيمون بريز بزيارة أذربيجان، وذلك للسعي نحو توسيع العلاقات العسكرية

عن السابق من خلال الشركة "الإسرائيلية" "إرينوتكس للأنظمة الدفاعية"، بإعلانها عن عزمها إقامة مصنع في العاصمة باكو.

من هنا، تحرص إسرائيل على تقديم الدعم والتعاون لأذربيجان في المجال العسكري، حيث وقّع الجانبان العديد من الاتفاقيات الثنائية في هذا المجال، وقيام هيئة الصناعات العسكرية الإسرائيلية بتوريد مائة دبابة من طراز "ميركافا" و30 طائرة حربية إلى أذربيجان، وأنشأت فها خطاً لإنتاج الطائرات بدون طيار، وأسلحة مضادة للطائرات، وأنظمة دفاع مضادة للصواريخ، لتصبح بديلاً لتركيا في صادرتها العسكرية. كما افتتحت شركة "التا سيستمز" أكبر شركة "إسرائيلية" متخصصة في المعدات الدفاعية الإلكترونية فرعاً ضخماً لها في باكو يمكنها من التقاط صور بالغة الدقة، في أسوأ الظروف الجوية، وإطلاق نظام قمر صناعي يمكنه الوصول إلى محطات مهمة جداً بالنسبة "لإسرائيل"، وهو ما يعكس مدى التعاون الاستخباراتي والأمني بين الجانبين.

ويرى الخبراء أن تزويد "إسرائيل" أذربيجان بالأسلحة والوسائل القتالية المختلفة، يأتي نتيجة للنزاعات المحتدمة بينها وبين جاراتها وعلى خلفية موقعها المتميز بين إيران وروسيا وتركيا، ومن هنا أصبحت أذربيجان إحدى المستهلكين الرئيسيين للأسلحة والخبرة العسكرية "الإسرائيلية"، وكان من أهم الصفقات المبرمة بين الجانبين في هذا المجال، الاتفاقية التي صدق الجانبان عليها في فبراير2012 بقيمة 1,6 مليار دولار وتشمل طائرات "إسرائيلية" بدون طيار ونظم مضادة للطائرات، والدفاع الصاروخي، بينما بلغت القيمة الإجمالية لصفقات السلاح "الإسرائيلي" الى أذربيجان بين الأعوام 2012 و2016 نحو 4,5 مليار دولار، وتحتل "إسرائيل" المرتبة الثانية (بعد روسيا) بين الدول التي تصدر الأسلحة إلى أذربيجان، وذلك على الرغم من الحظر الذي فرضته دول "منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)" على كل من أذربيجان وأرمينيا في محاولة لخفض حدة النزاع بينهما.

التعاون الاستخباراتي والأمني بين "إسرائيل" وأذربيجان، خاصة تدريب الأولى للأجهزة الأمنية والاستخباراتية للأخيرة، وإشرافها على الطاقم الأمني للرئيس الآذري خلال زياراته الخارجية، وتبادل المعلومات السرية حول أعدائهما بشكل روتيني، وتحليل الصور الملتقطة بواسطة أقمار صناعية "إسرائيلية"، مما يعطي التسريبات الصحفية حول طلب تل أبيب من باكو وضع محطات تنصت إلكترونية على طول بحر قزوين كثيرًا من المصداقية. كما ازدادت العلاقات الأمنية رسوخاً بين الجانبين، بعد أن أعلنت أذربيجان عن إحباطها ما وصفته بأنه "مخطط تفجير" أعد له حزب الله لتفجير السفارة الإسرائيلية في باكو، وإلقائها القبض على 22 ضابطاً من الحرس الثوري الإيراني بتهم ارتكاب أعمال معادية ضد السفارات الأمريكية والإسرائيلية وعدد من الدول الغربية.

وثمة مصلحة مشتركة هامة أخرى بين البلدين تتمثل في المخاوف من إيران، فقد نشرت وسائل إعلامية مختلفة معظمها ذات صلة باللوبي (الصهيوني – التركي – الآذري) خلال السنوات الأخيرة عن مخططات لتنفيذ عمليات على أراضي أذربيجان تم إحباطها جميعها بفضل معلومات استخباراتية "إسرائيلية"، كما أنه يوجد في إيران جالية أذرية كبيرة، ونظراً للقرب الجغرافي بين الدولتين، فمن شأن ذلك أن يساعد "إسرائيل" كثيراً في التجسس على إيران وجمع معلومات استخباراتية عنها في المجالات المختلفة، فضلًا عن

تشكيلها (أذربيجان) قاعدة انطلاق لأي هجوم "إسرائيلي" محتمل على إيران، يُضاف إلى ذلك البؤرة اليهودية الكبيرة الموجودة في باكو والتي تمثل بؤرة مناسبة "لإسرائيل" للعمل الاستخباري النشط من خلالها بسبب تأثيرها ونفوذها الكبير في مؤسسة صنع القرار وفي المجمع الاقتصادي والصناعي والتعليمي الآذري.

أحوال وتأثير الأقلية اليهودية في أذربيجان

يعيش اليهود في أذربيجان منذ عدة قرون، في أفضل المناطق لنمو المجتمعات اليهودية، ويوجد بأذربيجان ثلاثة أنواع من التجمعات اليهودية:

أولها: **اليهود الأشكنازية**، وقد استوطن بعضهم في أذربيجان منذ القرن الـ 19 خلال محاولة روسيا القيصرية لغرس الثقافة الروسية بداخل المنطقة، بينما الأشكنازية الآخرين قد أتوا إلى أذربيجان أثناء الحرب العالمية الثانية هرباً من قسوة النازية.

وثانيها: **اليهود الفارسيين**، ويعرفون بـ "يهود بخاري أو يهود جبل القوقاز"، ويعيش هؤلاء اليهود في القوقاز منذ عدة قرون، وتروج الدعاية الصهيونية أنهم ينحدرون من أصول القبائل التي هاجرت من "إسرائيل" عقب هدم الهيكل اليهودي الأول في 587 قبل الميلاد، وقد عاش جزء منهم في جنوب أذربيجان، والبعض الآخر في الجزء الشمالي الغربي من إيران.

وبينما تكيّف هؤلاء مع لغتهم الخاصة (وهي لهجة خليطة من الفارسية القديمة والكلمات الآرامية والعبرية)، لكنهم في الوقت ذاته باقون على عاداتهم وتقاليدهم وطريقتهم في الحياة وعلى لغتهم الأم، وقد هاجر العديد من اليهود في القرى الجبلية الواقعة على البحر الأسود وبنهاية القرن الـ 19 وبداية القرن الـ 20، عاش يهود بخارى كمزارعين في مجتمعاتهم الصغيرة المعزولة.

وثالثها: **اليهود الجورجيين**، الذين أتوا من جورجيا، وتشير التقديرات المختلفة إلى أن هؤلاء اليهود يصل عددهم بين 6000 و30000 يهودي، يعيشون في أذربيجان المقدر عدد سكانها بحوالي 7.5 مليون نسمة وفقا لعام 2011.

فيما يتعلق بالتركز السكاني، يقيم اليهود وبصفة خاصة يهود الاشكناز بصورة رئيسية في العاصمة باكو، وفي سومغيت، وأوغوز، وبلدة قرمزى حيث تعد البلدة الوحيدة في العالم، التي يشكل يهود الجبل فيها غالبية سكانها.

على الصعيد الاجتماعي، فقد كان ولا يزال لليهود حضورًا قوياً وفعالًا في المجتمع الأذربيجاني، وذلك في ضوء بيئة من التسامح الحكومي، وإقرار الدستور الأذربيجاني الجديد الصادر في عام 1992، بحرية ممارسة الديانة، بتأكيده على أنه لا توجد دولة دينية، الأمر الذى أدى إلى قيام الأقليات اليهودية الموجودة في الدولة، بإنشاء العديد من الكنائس والمعابد اليهودية لحرية ممارسة شعائرهم الدينية، كما حرصت الحكومة الآذرية على تخصيص جزء من موازنة الدولة لتمويل إنشاء العديد من المدارس والمؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية اليهودية.

الدور الاقتصادي والسياسي للأقلية اليهودية في أذربيجان

يمكن تتبع الدور الاقتصادي والسياسي للجالية اليهودية الموجودة في أذربيجان، من خلال الوقوف على مرحلتين هامتين في تاريخ الدولة:

المرحلة الأولى: (1918- 1991)

تمتد هذه المرحلة منذ تأسيس أول جمهورية مستقلة لأذربيجان في 28 مايو 1918، وذلك بعد عام من انتصار الثورة البلشفية، واتّسم الدور السياسي والاقتصادي للجالية اليهودية في الدولة بالفعالية، وذلك بالنظر إلى نفوذهم القوي في القيادة الثورية للبولشيفيك، فضلاً عن عددهم الكبير في ذلك الوقت والذي تشير التقديرات إلى وصوله وقت ذاك إلى نحو 137.000 يهودي، جاء معظمهم من أوكرانيا وبيلاروسيا إلى العاصمة الآذربيجانية باكو.

وبالنسبة لمشاركة الجالية اليهودية في الحياة السياسية، فقد شاركوا في عضوية العديد من الحركات الصهيونية، كما أصبح منهم أعضاء في المجالس الملية - الدينية والتي عرفت وقتها ب (البرلمان)، هذا بالإضافة إلى أن بعض اليهود تقلدوا مناصب وزارية في الحكومة، في ذلك الوقت كوزارة الأمن الغذائي، ووزارة الشؤون الدينية، ووزارة الصحة.

وخلال الفترة (1920- 1991)، مارس أفراد من الجالية اليهودية خاصة اليهود الاشكناز، العديد من الوظائف في مجالات العلوم والطب والثقافة والصناعة، كما كان لهم دور ملموس في تنمية الموسيقى والمسرح وبعض أوجه الفنون الأخرى، بما جعلهم رموزاً للثقافة الآذرية لمختلف قطاعات المجتمع في العاصمة باكو، كما أن هؤلاء اليهود شكلوا جزءًا مؤثراً من النخب التكنوقراط والمثقفين، نظرًا لمستويات ثقافتهم وتعليمهم العالي وخبرتهم الواسعة في مختلف المجالات، كما أنه في فترة من الفترات بعد خمسينات القرن الماضي شاعت ظاهرة الزواج بين الإشكناز اليهود والأذربيجانيين (الشيعة).

أما بالنسبة للدور الذي لعبته الجالية اليهودية في تنمية الاقتصاد الأذربيجاني، فيلاحظ أنهم عملوا بمجالي الزراعة والتجارة والطاقة بصفة أساسية، إلى جانب العمل اليدوي، ومع النمو السريع لباكو، باعتبارها المنتجة للنفط في البلاد وبكميات كبيرة، قام عدد كبير من اليهود بدور نشط في تطوير هذه الصناعة الحيوية، وتجدر الإشارة إلى أنه خلال الفترة (1913 - 1914)، تحكّم الرأسمال اليهودي في الاستثمار بمجال النفط بما نسبته 44% من إنتاج الكيروسين في باكو، والذي يعدّ مصدرًا هاماً للإنارة والشحن، وخلال النصف الأول من القرن العشرين، ابتكر مهندس كيماني يهودي، تكنولوجيا جديدة لتصفية النفط في باكو، وصارت تقنيته عالمية، الأمر الذي عكس حرص المستثمرين والمهتمين بمجال النفط من اليهود على الدفع بصناعة النفط وجعلها في مقدمة الصناعات والأنشطة الاقتصادية الأخرى، وظلّ الوجود اليهودي نشطاً في أذربيجان طوال الفترة من 1914 وحتى 1992.

المرحلة الثانية: (1992- وحتى الأن)

وهي المرحلة التي بدأت باستقلال أذربيجان عن الاتحاد السوفيتي، ويلاحظ أن الدور السياسي والاقتصادي للجالية اليهودية في الدولة، بقي كبيراً ولكن ليس بنفس القوة التي كان في المرحلة الأولى نظراً لدخول استثمارات آذرية قوية مدعومة من تركيا وايران وروسيا، إلا أن هذا التراجع اليهودي المؤقت لم يتأثر لفترة طويلة بسبب الضمانات التي كفلها الدستور الأذربيجاني لليهود، ووجود بيئة من التسامح الحكومي، والمعاملة على قدم المساواة مع المواطنين في البلاد، ولعلّ هذا يرجع بشكل أساسي إلى موجة الهجرة التي قام بها اليهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وألمانيا وروسيا.

وتشير التقديرات إلى أن ما يقرب من 80 ألف يهودي هاجروا من أذربيجان إلى الدول المشار إليها أعلاه مع بداية عام 1990، الأمر الذي أحدث شرخاً كبيرًا في المجتمع اليهودي في أذربيجان، لكن سرعان ما عملت إسرائيل على معالجة هذا الأمر، وذلك بقيامها بـ (الهجرة المعاكسة)، أي دفع اليهود الروس المقيمين بإسرائيل للهجرة إلى أذربيجان، وتوفير الدعم المالي الكبير اللازم لهم لإنشاء الشركات والمنشآت، على النحو الذي جعل من اقتصاد أذربيجان يقع من جديد بقدر كبير تحت سيطرة الشركات اليهودية، والتي باتت في السنوات العشر الماضية تمثل أداة ضغط على دائرة صانع القرار في مجالي السياسة الداخلية والخارجية للدولة، وهنا يبرز الدور السياسي للجالية اليهودية ولكن بشكل غير مباشر عبر التأثير على عملية ودوائر صنع القرار، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه لا توجد بيانات دقيقة ومجددة بتمثيلهم في المؤسسة النيابية ولا في الأحزاب السياسية، إلا فيما يتعلق بالضغوط التي يمارسونها لتمثيل مصالحهم داخل البرلمان من خلال أعضائه بشكل غير مباشر.

ولكن بغض النظر عن حدود وطبيعة تأثير الأقلية اليهودية سياسياً واقتصادياً واجتماعيًا، فإنه يمكن القول بأنه لديهم حضوراً كبيراً داخل المجتمع الأذربيجاني وقدرة على التعايش معه في سلام، والقيام بلعب دور كبير في تأسيس مجتمع مدني جديد، والمشاركة في الحياة العامة، حيث تشير البيانات المتوافرة إلى وجود ما يتروح بين 10- 15 منظمة يهودية مؤثرة في العاصمة باكو وحدها.

ومن أبرز تلك المنظمات:

1- المركز الإسرائيلي للبرامج التعليمية.
2- منظمة المرأة اليهودية.
3- الجريدة اليهودية.
4- منظمة الصداقة الإسرائيلية – الأمريكية.
5- منظمة وحدة أديان باكو لليهود الأوروبيين.
6- مجتمع قدامى الحرب.
7- الوكالة اليهودية لبرامج الاتصال الإسرائيلية بالمدينة والتي تشتمل على تعليم اللغة الألبانية.
8- المعسكر الشتوي للأطفال.
9- نادي أولياء الأمور.

نتيجة للمعطيات التي أشرنا لها، خصوصاً لاعتبارها دولة منتجة لسلعة استراتيجية (النفط والغاز)، أولت "إسرائيل" أذربيجان قيمة استراتيجية عالية في سياستها الخارجية تجاه هذا الإقليم، وعملت على تعميق علاقاتها معها بهدف تأمين مصدر للطاقة، وللاقتراب من الجغرافيا الإيرانية رداً على الاقتراب الإيراني من جغرافيا فلسطين المحتلة، ولتوظيف العلاقة الإسرائيلية مع مجتمع يغلب عليه الانتماء الشيعي في محاولة لجذب الشارع الشيعي في الخارج نحو "إسرائيل"، ولتعميق الصدع بين الكتلة الشيعية في أذربيجان والكتلة المماثلة في إيران، ناهيك عن توظيف علاقاتها مع تركيا وبعض دول آسيا الوسطى إلى جانب أذربيجان لاستثمار التنافس الدولي، خصوصاً المحور الروسي الصيني الإيراني مع المحور الغربي، ومحاولات التمدد الأطلسي في هذه المنطقة، نظراً لأهمية المنطقة كفضاء أمني لروسيا من ناحية، ولمشروع الحزام والطريق الصيني من ناحية أخرى.

فلسفة العلاقات الآذرية – الصهيونية الجديدة وتأثيرها في القوقاز وآسيا الوسطى

تأسيساً على ما سبق، هناك مجموعة من المحددات التي حكمت السياسة الإسرائيلية تجاه القوقاز وآسيا الوسطى، وذلك على مدار العقود الثلاثة الماضية، منذ بداية العلاقات الرسمية بين إسرائيل ومعظم تلك الدول، كالتالي:

1- الأهمية الجيوسياسية: استهدفت "إسرائيل" من خلال علاقاتها مع دول القوقاز وآسيا الوسطى منع قيام أي تحالفات مُعادية لها أو لمصالحها، مما يُقيّد من تحركاتها الدبلوماسية هناك، وبالتالي عزلها دولياً. كذلك سعت لتبديد أي محاولة من هذه الدول لتصدير تقنيات نووية أو حتى أسلحة ورثتها عن الاتحاد السوفيتي السابق إلى دول أو جماعات مُسلحة مناوئة لتل أبيب.

وقامت إسرائيل بتعريف علاقاتها مع دول القوقاز وآسيا الوسطى على أنها تحالف لمحاربة الفكر الأصولي الراديكالي، ممثلاً في تنظيم القاعدة في المقام الأول، ومنع انتشاره في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى، وبالتالي حرمانه من الوصول إلى الشرق الأوسط. وقد ذكر الرئيس الأذربيجاني، إلهام علييف، في عام 2016، أن العلاقات "الإسرائيلية" الأذربيجانية تُظهِر أن النزاعات اليوم ليست بين مجموعات دينية أو عرقية، بل بين المعتدلين والمتطرفين. وعزّز انسحاب حلف شمال الأطلسي "الناتو" من أفغانستان في عام 2021، وعودة حركة طالبان إلى السلطة في كابول، المخاوف من عبور المقاتلين الجهاديين إلى دول آسيا الوسطى والارتباط بجماعات محلية، لذا نجد أنه في ديسمبر 2022، استضافت "وزارة الخارجية الإسرائيلية" 24 مسؤولاً حكومياً من دول آسيا الوسطى الخمس (أوزبكستان وتركمانستان وكازاخستان وطاجيكستان وقيرغيزستان)، في جولة ركّزت على تجربة "إسرائيل" في أمن الحدود والدفاع الإلكتروني، للاستفادة منها في دولهم.

2- مواجهة إيران: غالباً ما رأت إسرائيل في القوقاز وآسيا الوسطى مناطق عمق استراتيجي بالنسبة لها، خاصة في مواجهة إيران، التي تعتبرها عدوها الأول. وتمتلك أذربيجان وتركمانستان حدوداً مباشرة مع إيران، لذلك تم اعتبارهما منصات محتملة لعمليات "إسرائيل" العسكرية ضد طهران، في حال نشوب حرب مستقبلية بينهما، مثلما تعتبرهما حالياً ساحة لجمع المعلومات الاستخبارية حول إيران.

وتشكو طهران أن أذربيجان منحت "إسرائيل" حرية واسعة لاستخدام أراضيها لشن عمليات في العمق الإيراني، وأن تل أبيب استخدمت الأراضي الأذربيجانية كنقطة انطلاق لسرقة ملفات نووية حسَّاسة في عام 2018. وفي هذا الصدد، تشير التحليلات الغربية إلى أن باكو تسمح - على الأرجح – "لإسرائيل" باستخدام قواعد على أراضيها لإطلاق رحلات استطلاعية فوق الأراضي الإيرانية وإرسال عملاء استخبارات إلى البلاد لتعطيل برنامجها النووي.

3- الاقتصاد والتسلّح: رأت "إسرائيل" في دول القوقاز وآسيا الوسطى سوقاً استهلاكية للصناعات الإسرائيلية، وتحديداً الدفاعية، فضلاً عن الاستثمارات الضخمة في هذه الأسواق، خاصة في مجال النفط. إذ تمتلك تركمانستان احتياطيات هائلة من الغاز الطبيعي، تحرص تل أبيب على استغلالها، كما هو الحال مع أذربيجان التي تمد "إسرائيل" بحوالي 30% من احتياجاتها النفطية، كذلك تُعد باكو شريكاً استراتيجياً رئيسياً لتل أبيب منذ سنوات.

والأكثر أهمية في هذه الشراكة، يظهر في العلاقات "الإسرائيلية" الأذربيجانية على صعيد التسليح، فوفقاً لبيانات "معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام"، تلقّت أذربيجان بين عامي 2013 و2016 حوالي 30% من وارداتها من الأسلحة من "إسرائيل"، وارتفعت هذه النسبة إلى 69% في الفترة بين عامي 2016 و2020، وهو ما مثّل 17% من صادرات الأسلحة "الإسرائيلية" خلال تلك الفترة.

والأمر اللافت هنا، والذي ربما يُشجّع دولًا أخرى على تعزيز علاقاتها العسكرية مع "إسرائيل"، هو مخرجات الحرب بين أذربيجان وأرمينيا، والتي أثبتت بالنسبة لباكو القيمة الحاسمة لتكنولوجيا التسليح الإسرائيلي. فبجانب نجاح الأسلحة التقليدية "الإسرائيلية" في ترجيح كفة أذربيجان، قامت شركةElta Systems، وهي شركة تابعة لشركة IAI "الإسرائيلية"، بتنفيذ خرائط رقمية لقره باغ، مما ساعد القوات الأذربيجانية على تنفيذ عملياتها القتالية خلال الحرب مع أرمينيا التي استمرت 44 يوماً في عام 2020.

4- المحدد الديمغرافي والثقافي: حاولت إسرائيل توظيف العامل الثقافي والجاليات اليهودية في القوقاز وآسيا الوسطى لصالح تعزيز علاقتها مع هذه الدول. فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، رفعت روسيا حظر الهجرة عن سكانها، ومن ثم هاجر 1.4 مليون نسمة من سكان روسيا وجمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً إلى "إسرائيل"، ونتج عن هذا الأمر وجود أكبر جالية في العالم تتحدث اللغة الروسية في "إسرائيل"، وجميعهم يُجيدون بعض اللغات الأخرى مثل الأذربيجانية والكازاخية وغيرها، مما ساعد تل أبيب على استغلال هذا العامل الثقافي في تعزيز علاقاتها السياسية والاقتصادية مع جمهوريات القوقاز وآسيا الوسطى.

بالنظر إلى محددات السياسة "الإسرائيلية" في القوقاز وآسيا الوسطى، فقد بدا أن توقيت "الرئيس الإسرائيلي" وقبله بشهرين وزير الخارجية كوهين، لكل من أذربيجان وتركمانستان، يحمل في طياته عدداً من الرسائل، يمكن تفصيلها على النحو الآتي:

1. **تعزيز الزخم الدبلوماسي حول علاقات إسرائيل الخارجية:** على مدار سنوات حكمه الطويلة، غالباً ما كان يلجأ نتنياهو إلى ملفات السياسة الخارجية للبحث عن إنجاز أو تقدم ما، وذلك مع كل أزمة داخلية تعصف به وبحكومته، وهكذا هو الحال في ملف علاقات تل أبيب مع دول الجوار الإيراني.

ويحاول نتنياهو حالياً استغلال فترات الهدوء النسبي في "الداخل الإسرائيلي"، بعد معركة "ثأر الاحرار" وبعد تأجيل التصويت على التشريعات القضائية، لقطف ثمار ما تم إنجازه في السابق في العلاقات مع أذربيجان وتركمانستان، فجاءت زيارة كوهين لباكو بعد أيام قليلة من افتتاح سفارة أذربيجان في "إسرائيل" يوم 29 مارس 2023، وزار "الرئيس الإسرائيلي" إسحاق هرتسوغ أذربيجان في نهاية شهر مايو 2023. وفي تركمانستان، لم يكن افتتاح السفارة "الإسرائيلية" إلا تتويجاً لعلاقات دبلوماسية استمرت منذ 30 عاماً، ووصلت حالياً إلى درجة كبيرة من النضوج، حيث وصفت وزارة "الخارجية الإسرائيلية" تركمانستان بأنها "دولة ذات أهمية استراتيجية وسياسية للأمن الإقليمي".

2. **تهديد ضمني لإيران واستغلال خلافاتها مع الجوار:** جاءت جولتي هرتسوغ وكوهين في الدول المجاورة لإيران في توقيت دقيق بالنسبة للملف النووي الإيراني، حيث باتت "إسرائيل" على يقين بأن طهران "تخطّت العتبة النووية"، خاصة في ظل التقارير الأخيرة التي تتحدث عن رفع مستوى التخصيب في المفاعلات الإيرانية، وهو ما طرح أمام "الحكومة الإسرائيلية" سيناريوهات الرد، ومن ضمنها الرد العسكري المنفرد.

لذلك تأتي الزيارتين لأذربيجان لتحملان تهديدات ضمنية لطهران، بأنه في حال قررت "إسرائيل" شن غارات جوية على المفاعلات والمعامل الإيرانية، فإن الوصول إلى القواعد الأذربيجانية سيجعل هذه المهمة أكثر جدوى. وكان كوهين خلال المؤتمر الصحفي الذي أعلن فيه عن افتتاح السفارة الأذربيجانية في "إسرائيل"، يوم 29 مارس الماضي، قد ذكر نصاً أن البلدين (أي إسرائيل وأذربيجان) تشتركان في نفس التصوّر حول التهديدات الإيرانية، وأنهما على قناعة بأن النظام الإيراني "يهدد المنطقة ويُموِّل الإرهاب ويُزعزع استقرار الشرق الأوسط بأكمله"، على حد قوله. وهي نفس الرسالة من وراء افتتاح "السفارة الإسرائيلية" في عشق آباد، على بعد 17 كيلومتراً فقط من الحدود الإيرانية.

وقد كان من المهم أن تستغل "إسرائيل" أيضاً ارتفاع مستوى التوتر بين إيران وتلك الدول، فقد ساءت العلاقات بين إيران وأذربيجان بعد هجوم باكو على أراضٍ لأرمينيا في سبتمبر 2022، فضلاً عن أنه خلال الشهور الماضية دأبت العديد من وسائل الإعلام المرتبطة بالحكومة الأذربيجانية على نشر مقالات وتحليلات تدّعي حق باكو في "لمّ شمل" شمال إيران مع البلاد. وفي 25 مارس 2023، انتهكت أذربيجان شروط اتفاقية 9 نوفمبر 2020، وسيطرت على بعض الطرق الفرعية في ناغورنو قره باغ، وهو ما أثار غضب طهران.

أمّا تركمانستان، فتجمعها نزاعات مع إيران حول مخزونات هيدروكربونية ضخمة محتملة في بحر قزوين، وقد توترت علاقات البلدين في فترات سابقة بسبب وقف صادرات الغاز من تركمانستان، مما دفع الحكومة الإيرانية للجوء إلى التحكيم الدولي في عام 2017.

3. **تعزيز الروابط الاقتصادية والعسكرية "الإسرائيلية":** ضم الوفد الاقتصادي المُصاحب لهرتسوغ ومن قبله كوهين في زيارتهما لأذربيجان وتركمانستان، ممثلين عن 20 شركة "إسرائيلية" من مجالات الأمن السيبراني ومكافحة الإرهاب وإدارة المياه والزراعة، حيث هدفت هذه الزيارة لإحداث طفرة جديدة في العلاقات الاقتصادية والعسكرية "لإسرائيل" مع الدولتين. وهذا أمر أكدته صحيفة "هآرتس الإسرائيلية"، في تقرير لها نُشر يوم 24 نيسان 2023، بعد انتهاء الزيارة، حيث أشارت إلى أن شركة صناعات "الفضاء الإسرائيلية" ستقوم بتزويد أذربيجان بقمرين اصطناعيين مقابل 120 مليون دولار،

لدعم جهود وكالة الفضاء الوطنية الأذربيجانية Azercosmos في مجال الأقمار الاصطناعية لأغراض الاتصالات والمراقبة.

والجدير بالذكر أن وزير "الدفاع الإسرائيلي" يوآف غالانت، قد التقى الرئيس الأذربيجاني علييف، في فبراير 2023، على هامش "مؤتمر ميونيخ للأمن"، وخرجت حينها تقارير تفيد بأن شركتين "إسرائيليتين" لتكنولوجيا الدفاع، هما Meteor Aerospace وSpearUAV، ستوقعان صفقات مع أذربيجان لتطوير الطائرات من دون طيار خلال العام الحالي. ويأتي ذلك في وقت ارتفعت فيه ميزانية الدفاع الأذربيجانية من 2.6 مليار دولار في عام 2022 إلى 3.1 مليار دولار في عام 2023، مع تخصيص 30% من هذه النفقات لشراء الأسلحة، وهو أمر قد يصب في صالح مبيعات الأسلحة "الإسرائيلية" للبلاد.

4. **فتح ثغرة لواشنطن في آسيا الوسطى لمواجهة الدول المناوئة لها:** يُرجِّح البعض أنه ليس من قبيل الصدفة أن تأتي زيارة كوهين بعد مرور أسبوع على انعقاد "المؤتمر الوزاري للدول المجاورة لأفغانستان"، في 13 إبريل 2013. وكانت الصين وباكستان وروسيا وإيران، قد أصدرت بياناً مشتركاً على خلفية مشاركتها في هذا المؤتمر، يدعو الولايات المتحدة وحلفاءها إلى تحمل مسؤولياتهم تجاه أفغانستان، ورفع العقوبات المفروضة عليها، وإعادة أصولها المجمدة. ويبدو أن هذا البيان جاء منسجماً مع المطالب الأفغانية، حيث أكد رئيس أركان الجيش الأفغاني قاري فصيح الدين، في مقابلة مع "وكالة رويترز" يوم 12 إبريل 2023، قيام طائرات مُسيّرة أجنبية باختراقات متتالية للمجال الجوي الأفغاني، وذلك في إشارة للطائرات الأمريكية.

وتذهب الترجيحات إلى أن أحد أهداف زيارة وزير "الخارجية الإسرائيلي" هو الرد على ذلك المؤتمر ومخرجاته، وفتح ثغرات تسمح للنفوذ الأمريكي بالنفاذ إلى دول آسيا الوسطى تحديداً، وبالتالي تُقدِّم تل أبيب نفسها كفاعل مهم ومفيد لواشنطن في آسيا الوسطى، في توقيت تعاني فيه علاقات البلدين من بعض التوترات، ومن اللافت أن وزيري خارجيتي كل من طاجيكستان وتركمانستان لم يُوقعا على بيان المؤتمر الوزاري، لنجد بعد أسبوع وزير "الخارجية الإسرائيلي" يفتتح سفارة بلاده في تركمانستان.

إجمالاً، على الرغم من أن "إسرائيل" ليست الفاعل الأساسي في آسيا الوسطى أو القوقاز، فإنها تعتقد أنها مناطق خصبة بالمصالح على أكثر من صعيد، وفي الوقت نفسه ترى أنها قادرة على توفير مزايا فريدة لحلفائها هناك، بما يضمن استمرار وتعزيز علاقاتها معهم، ومن ثم حماية مصالح تل أبيب، ومحاولة تطويق إيران.

التصعيد بين إيران وأذربيجان إلى أين؟

العلاقات الأذرية الإيرانية مرشَّحة لقدر من عدم الاستقرار، وهو ما يوفر "لإسرائيل" بيئة سياسية قابلة للاستغلال لمزيد من الضغط على إيران، كما أن تطور العلاقة الأذرية التركية والأذرية "الإسرائيلية" يلجم بقدر ما أيّ تشنجات في العلاقات التركية "الإسرائيلية"، كما جرى في فترات سابقة، إلى جانب أن استمرار

الاستدارة الخليجية نحو الشرق، خصوصاً إذا انضمت السعودية إلى منظمتَي شنغهاي للتعاون والبريكس، سيزيد من الحرص "الإسرائيلي" على تمتين العلاقة مع أذربيجان.

وقد كشف عامي روخاكس دومبا الخبير العسكري في مجلة "يسرائيل ديفينس"، عن شبكة مصالح "إسرائيل"، من علاقتها المتنامية مع أذربيجان، فاعتبر أن التوترات العسكرية بين "إسرائيل" وإيران تضع أذربيجان في مكانة خاصة، وبينما تتمتع تل أبيب وباكو بعلاقات وثيقة منذ عقود، فإن الأخيرة تشترك في حدود مع طهران تصل إلى 800 كيلومتر، ورغم أن أذربيجان بلد مسلم شيعي، فإن عدد الأذريين في إيران أكثر من أذربيجان، وهذه ملاحظة لافتة، ولها تبعات ديموغرافية وأمنية وسياسية لا تخطئها العين.

وفي تقرير عن رومان غورفيتش، السفير الفخري للوكالة اليهودية في أذربيجان، ورئيس الفرع "الإسرائيلي" لاتحاد الكتاب الأذربيجانيين، أن "علاقات تل أبيب وباكو لا تقوم فقط على الأسلحة أو النفط، لكن الدولتين لهما تاريخ مشترك، حيث يوجد في أذربيجان جالية يهودية من أربعين ألفًا، وليس فيها معاداة للسامية، وهناك علاقات متينة، ففي حرب إقليم ناغورنو قره باغ الثانية في 2020 عندما حررت أذربيجان أراضيها من الاحتلال الأرمني، قاتل العشرات من اليهود في الجيش".

لكن علاقة تل أبيب الدافئة مع باكو، المهيمنة في آسيا الوسطى، سمحت لها باستخدام دبلوماسيتها بفعالية، ولذلك فهي تعمل اليوم على تحسين علاقات أذربيجان مع اليونان وقبرص، اللتين لديهما تاريخ إشكالي مع تركيا".

لذا، فعلاقات باكو القوية مع أنقرة تعتبر ورقة لصالح تل أبيب في هذه المعادلة، فالأتراك والأذربيجانيون قريبون جدًا، بما في ذلك الثقافة والاقتصاد والسلاح، والوساطة الأذرية مع الأتراك فعّالة لحل مختلف القضايا الساخنة في المنطقة، وفي المقابل فإن العلاقات الجيدة بين تل أبيب وباكو تزعج طهران، ويبدو أنها أضرّت بالعلاقات بين باكو وطهران.

وتشير هذه القراءة "الإسرائيلية" إلى أن أذربيجان تقع في منطقة ليست بسيطة تضم إيران وروسيا، ومنذ وقت ليس ببعيد، أعلن الإيرانيون أنهم رأوا "جنودًا إسرائيليين" على حدودها، ما حدا بالرئيس الأذربيجاني إلى توزيع صورة "لطائرة انتحارية إسرائيلية" بدون طيار، كنوع من التحدي لإيران التي تدعم الأرمن.

منذ حرب قره باغ الثانية، عزلت باكو طهران عن قصد عن عملية إعادة إعمار قره باغ، مع إعطاء الأولوية "لإسرائيل"، وتعتقد إيران أن تل أبيب تشجّع باكو على اتباع سياسة عدوانية تجاه طهران وتحدي النظام الجيوسياسي القائم.

ومع ورود أنباء عن تقارب سعودي إيراني بوساطة الصين، كان يُنظر إلى هذا التطور على أنه خطر في كل من أذربيجان و"إسرائيل"، نتيجة لذلك يمكن أن ينقلب التوازن الإقليمي في الشرق الأوسط ضد مصالح "إسرائيل" بينما تحصل إيران على فرصة لتعزيز ضغطها تجاه أذربيجان.

حيث أن كل التطورات المذكورة أعلاه تقرّب بين أذربيجان و"إسرائيل" يومًا بعد يوم، وقد صرح وزير "الخارجية الإسرائيلي" إيلي كوهين خلال زيارته الأخيرة لأذربيجان عن ذلك.

لذا، فإن العلاقات "الإسرائيلية" الأذربيجانية مهمة للغاية لكِلا البلدين من حيث حماية مواقفهما الإقليمية ومصالحهما الوطنية والصراع مع الخصوم. عندما يتعلق الأمر بإمكانية نشوب صراع بين أذربيجان وإيران في ظل التوترات الأخيرة، فإن التوتر الأخير ليس هو الأول وربما لن يكون الأخير، بالنظر إلى تضارب المصالح والمواقف بينهما. ومع ذلك يتعين على الجانبين في مرحلة ما تخفيف حدة التصعيد، وينبع هذا من حقيقة أنه بينما من الواضح أن طهران لاعب أكبر وأقوى من باكو، فإنها لا تستطيع أيضًا تجاهل الحقائق الجيوسياسية، لا سيما الحاجة إلى الحفاظ على علاقاتها مع تركيا وروسيا، فضلاً عن اعتمادها على أذربيجان، لذلك، فإن احتمال نشوب أي نزاع مسلح بين البلدين يبدو بعيد المنال.

دور باكو الأخير في تخريب العلاقات (الايرانية – الآذرية)

بعد الهجوم الذي شنّه مسلح إيراني على سفارة أذربيجان في طهران، وأسفر عن سقوط ضحية من أمن السفارة، أعلن نائب وزير خارجية أذربيجان "خلاف خلافوف"، تعليق العمليات الدبلوماسية لسفارة بلاده في طهران، وقال في تصريحاتٍ نقلتها وكالة "أذرتاج" الرسمية، إن بلاده لا تثق بإيران بشأن ضمان أمن موظفي سفارتها في طهران، مشيراً إلى أن قنصلية أذربيجان في مدينة تبريز ستواصل عملها.

وأضاف أن إيران تتحمل المسؤولية كدولة عن الهجوم على سفارة بلاده في طهران وعواقبه التي وصفها بالوخيمة، معتبراً أن إيران تصرفت بشكل غير مسؤول بعد مطالبة بلاده لها بتشديد الإجراءات الأمنية حول السفارة في طهران.

جاء هذا الهجوم في خضمّ توترات متزايدة بين الدولتين الجارتين، بشأن عدة قضايا أهمها:

1- وجود نسبة كبيرة من الإيرانيين ذوي الأصول الأذرية، والخشية من المطالبة بالانفصال في حال تعزَّزت قوة أذربيجان.
2- الاتهامات المتبادلة بين الطرفين بخصوص دعم بعض الأطراف المعارضة في كِلا البلدين.
3- مشكلة ترسيم الحدود وتقاسم ثروات بحر قزوين.
4- التنامي الكبير للعلاقات الأذربيجانية "الإسرائيلية"، والتواجد والنفوذ "الإسرائيلي" والأمريكي في أذربيجان.
5- خشية طهران من استخدام القواعد العسكرية في أذربيجان لشن هجوم على منشآتها النووية واستخدامها في عملياتٍ استخباراتية.
6- تباعد الرؤى والمنهجية السياسية بين إيران الراديكالية وأذربيجان العلمانية.

التصعيد الحالي

في الوقت الراهن، الوضع بين الطرفين أشبه بالحرب الكلامية، فقد أظهرت كل من إيران وأذربيجان لبعضهما البعض الجرح الذي يمكن أن يضعوا أصابعهم عليه لإثارة قلق الطرف الآخر.

وبالنسبة لإيران، فإن صحوة الأتراك في مقاطعات أذربيجان هي الأكثر إثارة للقلق على الإطلاق، وفي الآونة الأخيرة، وخلال الاحتجاجات في إيران، لجأت أذربيجان لإثارة وتحريض الأذريين ضد النظام الإيراني، وهو ما أثار غضب طهران أكثر فأكثر.

يبدو أن إيران وأذربيجان تتجهان نحو تصعيد التوتر، فقد قال إلهام علييف رئيس أذربيجان، في خطابٍ بمناسبة ذكرى الانتصار في شوشي، أمام عدد من الجنود: "نحن نعزز جيشنا وسنواصل لنفعل ذلك، يجب أن تفهم أرمينيا أنه ليس إصرار بعض مؤيدي أرمينيا "يقصد بمؤيدي أرمينيا الإيرانيين" هو الذي يبقينا في إطار السلام الحالي، نحن لا نخاف من أحد".

الأمر الذي أدى إلى ردود أفعال إيرانية غاضبة ظهرت جلياً في خطابها الإعلامي ضد أذربيجان واستدعاء سفيرها للاحتجاج.

فعلى الرغم من أن علييف قد خاطب أرمينيا بهذه الكلمات، فإنه كان واضحاً من معنى كلماته أنه خاطب طهران، وكان رد فعله على إجراء المناورات العسكرية الإيرانية بالقرب من حدود أذربيجان في 26 أكتوبر2020، حيث قام الحرس الثوري الإيراني بتدريبات عسكرية واسعة النطاق لمدة ثلاثة أيام على الحدود مع أذربيجان تحت عنوان "اقتدار 1401"، وفي هذا التمرين، ولأول مرة، تم اختبار إنشاء الجسور العائمة المؤقتة لتدريب القوات والمركبات العسكرية على عبور عوائق المياه.

ما كانت تسعى إليه طهران في إجراء هذه المناورات هو نوع من "معارضة أي تغيير جيوسياسي في المنطقة"، وهي قضية كررتها الحكومة الإيرانية عدة مرات في السنوات الأخيرة، وحذّرت من التغييرات الوشيكة للحدود والتهديدات الجيوسياسية الأخرى.

نقاط التوتر

هناك عدة قضايا ومسائل مانعة لتهدئة وتوسيع العلاقات بين الطرفين سيما وأن آذربيجان ومن ورائها "إسرائيل" وتركيا، تقف دائماً وراء إحباط جهود إيران لتهدئة التوتر، ويمكننا تحديد ذلك بالعناصر التالية:

1- العلاقة الايرانية التركية القوية رغم الموقف الواضح لإيران من قضية تأكيدها على الحق الاذري باسترجاع أراضيه وعلى لسان معظم القيادات الأساسية في الجمهورية وعلى رأسها الامام الخامنئي (دام ظله)، إلا أن آذربيجان تستمر بالخلط عمداً بين العلاقة (الايرانية – الارمنية) القوية، وبين الموقف الإيراني من قضية "ناغورنو قره باغ"، حيث تروّج دعاية باكو ومن ورائها جوقة التخريب في تركيا وفي الخليج على أن إيران تدعم "أرمينيا المسيحية ضد أذربيجان المسلمة"، وهذا إن دل على شيء الآن بعد ثلاث سنوات من تحرير ناغورني قره باغ، فإنه يدل على انتشاء آذري بالنصر وبدعم الحليفين الصهيوني والتركي.
2- وجود نسبة كبيرة من الإيرانيين ذات الأصول الأذرية، والخشية من المطالبة بالانفصال في حال تعزَّزت قوة أذربيجان التي لم تخفي قيادتها وجهاز دعايتها رغبتها باسترجاع الجزء الإيراني، وهذا يهدد بفتح الباب أمام مطالب الأقلية الأذرية في إيران بالانضمام إلى دولة أذربيجان.

3- الاتهامات المتبادلة بين الطرفين بخصوص دعم بعض الأطراف المعارضة في كِلا البلدين.
4- مشكلة ترسيم الحدود، وتقاسم ثروات بحر قزوين.
5- العلاقات الأذربيجانية الإسرائيلية، والتواجد والنفوذ "الإسرائيلي" والأمريكي في أذربيجان.
6- علاقات أذربيجان مع تركيا التي تُعتبر المنافس الإقليمي لإيران في هذه المنطقة.

النتائج والسيناريوهات

أولاً: حول مستقبل العلاقات، تشير الدراسات وآراء الخبراء أن هناك حزمة من المعوّقات والتحديات التي ستقف عائقاً أمام تطور العلاقات بين الطرفين، وتحدّ بشكل متصاعد من أي تقارب قادم ما لم تقتنع آذربيجان بأن عناصر تفاخرها وتنمّرها على إيران هي عناصر ضعيفة، ولن تقدر أن تحميها في حال أتخذ القرار في إيران بالتصرف، والاشتباكات الاقليمية الايرانية – التركية والايرانية – "الإسرائيلية"، خير دليل على القوة الكاذبة لهذين الشريكين لباكو عندما تقرر إيران أخذ زمام المبادرة.

ثانياً: تنسف باكو أسس التقارب والالتقاء بين البلدين التي تقوم على مصالح مشتركة، والمشتركات اقتصادية والمذهب الواحد والإرث الثقافي المشترك بين البلدين، خاصة أن غالبية سكان الدولتين هم من الشيعة، كذلك يلعب الأمن المشترك دوراً في عدم توجه العلاقات إلى الأسوأ، وربما كان هذا السبب في موقف عدم تصرف باكو العلني وابقاء تدخلها ضمن الحدود السرية في إيران.

ثالثاً: أحد السيناريوهات هو أن تبقى العلاقات السياسية بين البلدين كما هي الآن دون أن تتطور إلى مستوى نوعي، وسيسعى الطرفان إلى تعزيز علاقاتهما بزيادة حجم التبادل التجاري والتخطيط لمشروعات اقتصادية مشتركة، وخاصة في مجال الطاقة، وهناك من يعتقد بوجود دوافع استراتيجية تجعل التقارب بين باكو وطهران ممكناً في حدود معينة، وخاصة في ظل الوضع الاقتصادي لإيران بسبب الحصار والعقوبات الاقتصادية المفروضة عليها، غير أنه من الصعب أن يصل التقارب بين الدولتين إلى حد الشراكة المستقرة.

رابعاً: من السيناريوهات أيضاً، هو أن سلسلة الأحداث بين طهران وباكو والتي بدأت في عام 2020، لها عواقبها المتوقعة وغير المتوقعة، وهذه العواقب اليوم لن تؤدي إلى علاقة مستقرة، بل إن كل المتغيرات والمعطيات تدل على أن العلاقة بين طهران وباكو تتجه نحو التوتر، وهذا التوتر يمكن أن يؤدي بشكلٍ تدريجي إلى مواجهة.

خامساً: كما أن سعي أذربيجان لخلق الأساس والظروف "لإسرائيل" للتوغّل بشكل أكبر على طول الحدود مع إيران، من إنشاء القرى الذكية إلى استخدام أراضي قره باغ لهجمات الطائرات بدون طيار على إيران، والتخطيط للاغتيال والتجسس، واستهداف عناصر البرنامج النووي، وما إلى ذلك، والتي وفقاً للوثائق والمواقف الصريحة لمسؤولي الأمن الإيرانيين، فإن معظم عمليات "إسرائيل" ضد إيران هي من أراضي أذربيجان، والمناطق الواقعة تحت سيطرتها، تعتبره إيران تهديداً لأمنها القومي.

تكشف التوترات في العلاقة بين إيران وأذربيجان بأن "باكو" باتت تمثل تهديداً رئيسياً لإيران على خلفية بعض المظاهر التي تكشف عن تزايد العلاقات الخاصة بين باكو وتل أبيب والتي تتمثل في اتساع نفوذ تل

أبيب داخل الهيكل السياسي والأمني والاستخباراتي لباكو، وفي تعزيز الحضور التكنولوجي الاستخباراتي "لإسرائيل". وتنظر إيران بعين الريبة إلى دور أذربيجان المتزايد في محاولات تطويقها إقليمياً في إطار استراتيجية العقوبات والضغوط التي تمارسها واشنطن على طهران.

وثمة تهديد واضح بدأ يظهر في السنتين الأخيرتين يتمثل في إطلاق يد باكو للخبراء الصهاينة فيما يعرف بالقرى الذكية، وهي قرى أو مناطق صغيرة تتخذ نهجًا شاملاً لتوظيف تقنيات المعلومات مع التحليل في الوقت الفعلي. في "القرى الذكية" الإنترنت فائق السرعة ونظام الامن الإلكتروني – الذي يوفر إجابات لـ 36 نوعًا من التحليل في 10 دقائق على الصعيد الاستخباراتي.

أدت حرب ناغورنو قره باغ عام 2020 إلى تغيير كبير في توازن القوى في جنوب القوقاز، مما أدى إلى تفكيك البنية الأمنية الاقليمية في الفترة 1994-2020 بشكل متزايد، وزادت الحرب من نفوذ تركيا في المنطقة، وكان الأمر الأكثر إثارة للقلق بالنسبة لإيران هو ظهور نفوذ "إسرائيل" في الأراضي التي تم الاستيلاء عليها حديثًا على طول الحدود الأذربيجانية الإيرانية. أقامت أذربيجان تعاونًا دفاعيًا وأمنيًا قويًا مع "إسرائيل" منذ أوائل عام 2010، ومع ذلك، فإن سيطرة جمهورية ناغورنو قره باغ على حدود 135 كيلومترًا مع إيران أعطت طهران المرونة والثقة في أن هذه المناطق لن تستخدم في أنشطة مناهضة لإيران. لكن حرب 2020 غيرت هذا الوضع بشكل كبير، حيث سمحت أذربيجان "لإسرائيل" بدخول تلك الأراضي بحجة أنشطة إعادة الإعمار وإنشاء القرى الذكية. وترى إيران أنه بدعوة "إسرائيل" لاستغلال الأراضي الأذربيجانية، غيرت باكو ميزان القوى في المنطقة واتخذت موقفًا علنيًا معاديًا لإيران.

تعاملت طهران بحذر شديد مع الحرب الأخيرة في إقليم ناغورنو قره باغ، وقبلت على مضض بوقائع جيوسياسية فرضها انتصار باكو في الحرب الأخيرة سنة 2020، والتي كانت سبباً في استعادة تركيا دورها الجيوستراتيجي في منطقة القوقاز، على حساب مصالح الأمن القومي.

في الحرب الأخيرة أيقنت طهران أن انتصار أذربيجان سيكون له تداعيات مرهقة على حدودها، لذلك كان خيارها استيعاب الصدمة والتعامل بحذر مع تمدد تركي أذربيجاني في المجال الحيوي المشترك بينها وبين روسيا، نتيجة غض طرف روسي في المعادلة الجديدة وقبول غربي بعد تغير في طبيعة العلاقة ما بين روسيا وأذربيجان من جهة، وروسيا وأرمينيا من جهة أخرى، حيث شهدت العلاقة بين موسكو وياريفان الحليف الأرثوذكسي التاريخي لروسيا في هذه المنطقة فتورًا شديدًا بعد ثورة ملونة أطاحت برئيس الوزراء القريب من الكرملين، وأتت بآخر ذي ميول غربية.

في المقابل كشفت صحيفة هآرتس أن تحقيقًا استقصائيًا كشف بيع "إسرائيل" لأذربيجان معدات حربية تبلغ قيمتها مليارات الدولارات مقابل النفط وتوفير موطئ قدم في خاصرة إيران، مضيفة أن السنوات السبع الأخيرة شهدت هبوط 92 رحلة جوية لطائرات شحن تابعة لشركة "سيلكوي" الأذرية في مطار "عوفدا" العسكري "جنوبي إسرائيل"، وذلك لنقل شحنات الأسلحة والذخائر من "إسرائيل" إلى أذربيجان، حيث يرتبط البلدان بتحالف استراتيجي منذ 20 عامًا.

ونقلت الصحيفة عن مصادر خارجية قولها إن "أذربيجان أتاحت لجهاز الاستخبارات الخارجية "الإسرائيلي" (الموساد) إقامة محطة متقدمة، توفر للأخير قدرة عالية على تعقب ورصد ما يجري في إيران، كما أن السلطات الأذرية عملت على تأهيل مطار مخصص لمساعدة "إسرائيل" في حال قررت مهاجمة منشآت نووية إيرانية"، وكشفت أن "عملاء الموساد الذين سرقوا الأرشيف النووي الإيراني قاموا بتهريبه إلى "إسرائيل" عن طريق أذربيجان".

واتهم المتحدث باسم الخارجية الإيرانية ناصر كنعاني، يوم 31 مارس 2023، "إسرائيل" بأنها تسعى إلى تحويل أراضي أذربيجان إلى "ساحة لتهديد الأمن القومي للجمهورية الإسلامية الإيرانية"، وذلك تعليقاً على تصريحات وزير الخارجية "الإسرائيلي" إيلي كوهين. حيث صرّح كوهين خلال حفل افتتاح السفارة الأذربيجانية: "اتفقت مع وزير الخارجية بيرموف على تشكيل جبهة موحدة أمام إيران"، وتعليقًا على تصريحات كوهين، اعتبر المتحدث باسم الخارجية الإيرانية أن حديث "الوزير الإسرائيلي" عن الاتفاق على تشكيل جبهة ضد إيران "بمثابة وثيقة أخرى حول النوايا المشؤومة للكيان الصهيوني لتحويل اراضي أذربيجان إلى ساحة لتهديد الأمن القومي الإيراني".

إن وجود قاعدة جوية "إسرائيلية" بالقرب من الحدود داخل الأراضي الأذربيجانية، وسفارة "إسرائيلية" في تركمانستان لا تبعد أكثر من 17 كيلومتراً عن الحدود الإيرانية، يعني أن منطقة القوقاز وآسيا الوسطى قد دخلت عملياً في دائرة "الدور الإسرائيلي" الساعي إلى محاصرة إيران، وتمارس "إسرائيل" كذلك من خلال وجودها في آذربيجان وتركمانستان حرباً سيبرانية مكثفة على إيران من خلال:

- التنصت.
- تسيير طائرات مسيرة، ومسح جوي.
- شن هجمات سيبرانية ضد منشآت إيرانية حيوية وبنى تحتية.

خلاصة

1- تتصاعد المواجهة ما بين الكيان المؤقت وإيران خلال السنوات الأخيرة، وكانت المواجهة التقليدية في مياه الخليج العربي والبحر الأحمر، إلى جانب الهجمات السيبرانية المتبادلة بين البلدين.
2- تظهر أهمية علاقات "إسرائيل" مع أذربيجان الآن أكثر من السابق، مع صعود حكومة يمينية في "إسرائيل" ووصول كل من المملكة العربية السعودية وإيران إلى اتفاق سلمي وإعادة العلاقات بين البلدين، ومن المؤكد أن هذا ينعكس على بقية الدول الخليجية.
3- بدون شك ستستثمر "إسرائيل" "القرى الذكية" عند الحدود الأذرية، من أجل شن هجمات سيبرانية، تسيير طائرات مسيرة، مسح جوي، وتجنيد عملاء والتسلل عبر الحدود، هذه العمليات جميعها تعتبر تهديداً مباشراً إلى أمن إيران القومي.
4- يقابل التهديدات الإسرائيلية السيبرانية عبر الحدود الأذرية، قدرة إيران على صد أو كشف بعض تلك الهجمات، لكن في الحقيقة، قدرات "إسرائيل" السيبرانية ضدها باتت أوسع من قبل بفعل

موطئ القدم الذي حصلت عليه "إسرائيل" في القوقاز، كونها تتمتع بتموضع أمني استخباراتي واسع في مناطق متاخمة جداً من إيران.

5- بات متوقعًا أن تمتلك "إسرائيل" مزيدًا من القدرة على تنفيذ هجمات سيبرانية تستهدف المفاعلات النووية الإيرانية ومنشآتها الحيوية وكذلك البنى التحتية.

6- لا شك في أن تصاعد التوتر في العلاقات الإيرانية الأذربيجانية سينعكس سلبًا على نشاط الممر الدولي للنقل بين الشمال والجنوب (INSTC) بالإضافة إلى عرقلة الصادرات الإيرانية إلى أوروبا الشرقية وروسيا.

7- يشكل التقارب الأذربيجاني "الإسرائيلي" مصدر قلق لإيران، حيث يعتبر هذا التقارب تحولًا استراتيجيًا قد يؤثر على التوازنات الإقليمية، وتخشى إيران أن يؤدي التقارب الأذربيجاني "الإسرائيلي" إلى زيادة التأثير "الإسرائيلي" في منطقة القوقاز وتهديد مصالحها الإقليمية وأمنها القومي.